

## الإنتاج الحرفي والصناعات الحديثة في ولاية بغداد

م. م. هديل فائز حسن  
جامعة سامراء - كلية الآداب

أ. د. حازم مجيد احمد  
جامعة سامراء - كلية التربية

### الملخص

الصناعات بصورة عامة، هي كل إنتاج مصدره العقل البشري سواء كان مادياً أم معنوياً، وبتعبير آخر تفاعل جماعة خاصة مع بيئة طبيعية ذات موارد معينة تقيد لعمل ما في الحرف التي يزاولها نفر من الناس في منطقة جغرافية (معينة) تختلف في حرفها عن بيئة جغرافية أخرى، فالحرف الشائعة في المنطقة الشمالية من العراق مثلاً تختلف عن حرف أهل الوسط والجنوب وتختلف من بلد إلى آخر باختلاف البيئة وتباين أحداثها، والصناعات هي مثلاً الحدادة، والنجارة، والصياغة وغيرها من الصناعات الشعبية، وهي ما يستعان على تعاطيه وممارسته بآلات وأدوات الصناعة الشعبية، ويكون تعلمه بالدراسة والعمل؛ لأن من يتتبع دراسة الصناعات في العراق يدرك أهميتها وذلك نابع من كونها كثيرة التنوع، ومرد ذلك إلى اختلاف طبيعة القطر الجغرافية والمناخية ومواده الأولية وكثافة سكانه في منطقة ما دون أخرى، فالصناعات الموجودة في منطقتي وسط وجنوب العراق تختلف عما هي عليه في المنطقة الشمالية، لا بل قد تُشاهد اختلافاً واضحاً بين صناعة وأخرى في بيئة جغرافية واحدة كما في المنطقة الشمالية.

الكلمات المفتاحية: العراق، الدولة العثمانية، مدحت باشا، الصناعة، الحرف.



## **Handicraft production and modern industries in the state of Baghdad**

**Hadeel Faez Hasan**

**Hazim Majeed Ahmed**

University of Samarra- College of Arts

### **Abstract**

In general, industries are any production that comes from the human mind, whether material or moral, in other words, the interaction of a particular group with a natural environment with certain resources that are restricted to work in the crafts practiced by a group of people in a (specific) geographical area that differs in its character from another geographical environment. The common crafts in the northern region of Iraq, for example, differ from the crafts of the people of the center and the south, and differ from one country to another, depending on the environment and the variation of its events. learn it by study and work; Because those who follow the study of industries in Iraq realize their importance, and that stems from their diversity, and this is due to the different geographical and climatic nature of the country, its raw materials, and the density of its population in one region without another. Rather, we may see a clear difference between one industry and another in one geographical environment, as in the northern region.

**Keywords:** Iraq, Ottoman Empire, Midhat Pasha, Industry, Crafts.

## المقدمة

تُعدّ الصناعة العمود الثاني للاقتصاد بعد الزراعة، وولاية بغداد اثناء مدة الدراسة لم تكن داخلة في عملية الصناعة الحديثة وكانت ماتزال المنتجات الحرفية هي السائدة في أسواق الولاية تصنع بأدواتٍ بدائيةٍ وبسيطةٍ وبقيت على هذه الحال حتى أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وكان التنظيم الحرفي هو السائد ويحدّد العلاقة بين الحرفيين والدولة تحت مسمى الأصناف الحرفية التي وجدت منذ أقدم العصور ولم تكن حديثةً، وعُدّت الأصناف الحرفية تنظيمات اقتصادية واجتماعية ذات أسس أخلاقية، وازداد النشاط الحرفي في القرن الثاني عشر والثالث عشر وتطورت العلاقات الإنتاجية بين الحرفيين من جهةٍ والتجار والفلاحين من جهةٍ أخرى، ومع تطور النشاط الحرفي توجب الأمر وجود تنظيمات تنظّم علاقة الحرفيين مع بعضهم البعض من جهةٍ وعلاقة الحرفيين مع الدولة من جهةٍ أخرى، وعُرفت هذه التنظيمات باسم (الأصناف) جُمعت فيها كلّ الأصناف الحرفية، كلّ صنفٍ يُشرف على حرفةٍ معينةٍ مثل: صنف التجارة، والحداة، والصفارة،... إلخ، وتميّزت هذه الأصناف بعلاقتها بالطرق الصوفية إذ إنّ الطرق الصوفية تحثّ على امتهان الحرف واتّفاق الصانع وتجعل من المهن والحرف ذات قيمةٍ أساسيةٍ للإنسان تضيف عمقاً روحياً.

وقُسم البحث على محورين، تضمن المحور الأول: الإنتاج الحرفي، ومنها: صناعة الغزل والنسيج، والصناعات الجلدية، والصناعات الخشبية والمعدنية، وصناعة الفخاريات. أما المحور الثاني فركّز على بداية الصناعة الحديثة في ولاية بغداد، ولاسيما تحول صناعة النسيج من صناعةٍ يدويةٍ بسيطةٍ إلى صناعةٍ بالماكنات، ثم صناعة الطابوق، وصناعة الثلج، وصناعة الزجاج، وصناعة الصابون، وغيرها من الصناعات.

## أولاً: الإنتاج الحرفي

إنَّ سكان ولاية بغداد جميعاً باستثناء (الفئة الحاكمة والعلماء)، مارسوا حرفةً لهم أيّاً كان مركزهم، وعملهم، ودياناتهم، بالوراثة، أو التمرن على يد أصحاب الحرف الكبار<sup>(١)</sup> ويُذكر أنَّ في عام ١٨٤٦م قُدِّر عدد الحرف بسبعين حرفةً شاملةً لما تحتاجه الولاية من منتوجاتٍ وخدماتٍ مختلفة<sup>(٢)</sup>.

والجدير بالذكر أنَّ أهمية العمل تجعل الفرد يتمتع بالاحترام طالما لديه عملٌ يمارسه، العمل الذي يتيح له مكانةً اجتماعيةً بعيدةً عن تدخل الحكومة<sup>(٣)</sup> والارتباط يكون بين أبناء الحرف وتكون محل جماعة القرابة وجماعة المكان موحدة الفرد في المجتمع وتضمّه إلى فئة اجتماعية<sup>(٤)</sup>.

وغالبًا ما تنتقل الحرفة من الآباء إلى الأبناء بالتوارث؛ لأنَّ لها دورًا في تقوية أسرة القرابة، والعائلة، والديانة داخل الحرفة وأحيانًا تقتصر على عائلةٍ واحدة<sup>(٥)</sup>، مثل: حرفة الصغارين فهي تخصّ عائلةً تصل بينهم صلة القرابة والمصاهرة والمشاركة في الأحزان والأفراح وتغلق أبواب محلهم في مناسباتهم الخاصة<sup>(٦)</sup>.

وحرصت الطوائف الحرفية على الحفاظ على التقاليد العربية مثل: الكرم، وضيافة الغرباء بتخصيص مكانٍ دائمٍ للضيافة<sup>(٧)</sup>، وهذا يعبر عن عمق الالتزام الحرفي بالقيم والتقاليد الاجتماعية. فالمعايير العرفية استمدت من الأعراف الاجتماعية والقيم الدينية غير الملائمة لبيدل الجهد والسعي وراء الرقي الاقتصادي، ومعنى الكلام: إنَّ النظام الحرفي كان متأثرًا بالتقاليد ولم يكن متأثرًا بعمليات الإنتاج الاقتصادي<sup>(٨)</sup>.

وعلاقة صاحب الحرفة مع صبيانه علاقة أبوية، منتظمة من الأعلى إلى الأدنى فالصبيان يشاركون معهم نمط حياته، وعاداته، وتقاليده؛ للوصول إلى مستواه المهني<sup>(٩)</sup>.

واعتمدت الأسواق على التجمعات الحرفية المجاورة لها والقائمة فيها بل هناك أسواقٌ خاصةٌ لكل حرفةٍ ومحلاتٍ أو عقودٍ خاصةٍ بأصحاب الحرفة الواحدة مثل: محلة الدهانة (صانعو الدهن)، ويعود سبب تجمع الحرفيين في مكانٍ واحدٍ؛ لسهولة جمع الضرائب، وتصريف البضائع، وتسهيل وصول المستهلكين إليهم بحكم صعوبة المواصلات آنذاك<sup>(١٠)</sup>، ولمعرفة أصحاب الحرف بعضهم البعض لمعرفة الأسعار التي يُشترى ويُباع بها، ويتمّ الإنتاج والبيع في المحل نفسه أما إذا كانت السوق واسعة فيستعمل المحل للبيع فقط<sup>(١١)</sup>.

والحرفيون أقسامٌ، قسمٌ منهم يعملون في بيوتهم أو محالهم الخاصة وبأدوات يملكونها، ويستعملون مواد أولية يشترونها وأسواقهم التجارية محدودة لا تتعدى المدينة التي يسكنونها، وقسمٌ

يعملون في مجال نظمت بصورةٍ شبيهةٍ بالمصنع من حيث الأدوات، والإنتاج، والصنّاع، ويُوزَّع إنتاجها على أنحاء الولاية بأكملها، وقسمٌ آخر من الحرفيين يعتمدون في بيع منتجاتهم على التجار المصدرين المنتجات للتجار الذين يقومون بتصديرها خارج المدينة وتنتهي مسؤولية الحرفي بتسليم البضاعة إلى التجار، وعلى العموم فالجميع يبيعون بضائعهم من دون وسيط<sup>(١٢)</sup>، وفي بعض الأحيان تتم عمليات البيع بالتقسيط، أي: دفع جزءٍ من المال عند الاتفاق على إنتاج سلعةٍ، وبعد الانتهاء من إنتاجها يدفع الباقي<sup>(١٣)</sup>.

وكان الإنتاج الحرفي يُشكّل قاعدةً رئيسةً للصناعة المحلية على الرغم من بساطة وجودها، وأغلبية هذه الحرف أسرية تتناقل من جيلٍ إلى آخر بأسرتها جميعاً<sup>(١٤)</sup>.  
ومن أهم الصناعات الحرفية في ولاية بغداد:

### ١- صناعة الغزل والنسيج:

من الصناعات الحرفية القديمة في ولاية بغداد اعتمدت في إنتاجها على الآلات اليدوية البسيطة، مثل: الدواليب المستعملة في صناعة الغزل، والجوم في صناعة النسيج وللنساء دور ومشاركة في صناعتي الغزل والنسيج إلى جانب الرجال<sup>(١٥)</sup>.

وتعرضت صناعة النسيج في الولاية إلى منافسةٍ شديدةٍ من المنتجات الأجنبية المستوردة، ونجحت في البداية في المنافسة حتى ثمانينات القرن التاسع عشر، ففي بغداد بلغت قيمة المصنوعات الصوفية، والحريرية، والقطنية ٣١١,٥٠٠-٩١,٠٠٠-٥٤,٠٠٠ ليرة عثمانية<sup>(١٦)</sup>، إلا أنّ هذه المنافسة بدأت تتلاشى في العقد الأخير من القرن التاسع عشر لما ارتفعت واردات ولاية بغداد من المنسوجات والملبوسات الى ما يزيد نصف مليون دينار بعد أن كانت ٩٤,٠٠٠ دينار<sup>(١٧)</sup>، وبعد تزايد استيراد المنتجات الأجنبية إلى ولاية بغداد بشكلٍ كبيرٍ انخفض عدد دور صناعة النسيج مثلاً على ذلك في مدينة بغداد وصل عدد الدور في مطلع القرن العشرين بضعة مئاتٍ فقط بعد أن كان (١٢,٠٠٠) دارٍ في منتصف القرن التاسع عشر<sup>(١٨)</sup>.

ومدينة بغداد من أهم المراكز لصناعة النسيج، إذ اشتهرت بالكثير من محلاتها بهذه الصناعة مثل: محلة الشواكة، ومحلة الكريمت (جانب الكرخ)، ومحلة الشيخ عبد القادر الكيلاني ومنطقتي الكاظمية والأعظمية، ودُعيت صناعة النسيج بالحيافة وعُرف النَّسَّاج بالحائك<sup>(١٩)</sup>.

ويذكر لوريمر أنّ عدد الجومات المستعملة في صناعة المنسوجات الحريرية ببغداد في أوائل القرن العشرين (٢٢) جومة، وعدد الأنوال المستعملة في صناعة النسيج ١,٠٠٠ نول وعدد محال صبغ المنسوجات (٦٨) محل<sup>(٢٠)</sup>.

والمنتجات النسيجية في ولاية بغداد شملت الأزارات والشراشف المصنوعة من الحرير أو القطن ومطرزة بالخيوط الذهبية والفضية، الكوفيات المصنوعة أيضاً من القطن والحرير ومطرزة بالخيوط الفضية أو الذهبية، والعباءات الرجالية والنسائية المصنوعة من الصوف أو الحرير المطرز بالخيطان الذهبية أو الخيطان الفضية.<sup>(٢١)</sup>

من المنتجات الأخرى المناشف والمناديل<sup>(٢٢)</sup>، وأنواع مختلفة من الأقمشة المستعمل في الحياة اليومية مثل: قماش إنباتي المستعمل في صناعة الأقمشة الصيفية الخفيفة وفي تطريز العباءات<sup>(٢٣)</sup>، وقماش الكتان قماش قطني مخطط<sup>(٢٤)</sup>، وقماش آخر من الأقمشة القطنية<sup>(٢٥)</sup>.

## ٢- الصناعات الجلدية:

تعدّ الصناعات الجلدية من الصناعات العراقية القديمة<sup>(٢٦)</sup>، وتتمثل ببضاعة المنتجات الجلدية وبالديباغة، وهما في الأساس حرفتان قديمتان وكان اعتماد صناعة الجلود على الاستيراد من فرنسا حتى عام ١٩١٠م، إذ عُدّت المجهز الأساس من الجلود إلى العراق<sup>(٢٧)</sup>.

وأهم المنتجات الجلدية كانت من السروج، والأحذية، والأحزمة، والنصول<sup>(٢٨)</sup>، إلا أنّ المنتجات لم تكن جيدة بشكل عام، إذ عانت من منافسة المنتجات الأوروبية المستوردة وتحديداً صناعة الأحذية<sup>(٢٩)</sup>.

أما دباغة الجلود فتوجد في مدينة بغداد محال متطورة لدباغتها فضلاً عن وجود معمل الدباغنة وتواجد محال الدباغة في منطقة الكاظمية ومنطقة المعظم والتي بلغ عدد محالها ٤٠ محل عام ١٩١٠م وبسعة إنتاج ٥,٠٠٠ جلد أسبوعياً<sup>(٣٠)</sup>.

## ٣- الصناعات الخشبية:

وُجدت المصنوعات الخشبية في معظم المدن في ولاية بغداد إذ شملت الأثاث المنزلي (الأسرة، والدواليب، وواجهات الغرف المزينة وغيرها)، والأدوات الزراعية (المحاريث، والجراجر) وصناديق الأضرحة<sup>(٣١)</sup>.

## ٤- الصناعات المعدنية:

من الحرف القديمة في ولاية بغداد التي تعتمد في صناعاتها على المواد الأولية المستوردة من الدول الأجنبية.

ومن منتجاتها: صناعة الأواني المنزلية، وصناعة الحدادة، وأعمال الصياغة، وانتشرت هذه الصناعة في أغلب مدن الولاية<sup>(٣٢)</sup>، وقد أتقن البغداديون صناعة الأواني النحاسية (صناعة الأواني المنزلية)، وعُدّت مصنوعات من النوعية الفائقة الجودة وشملت تلك المصنوعات الأواني المستعملة في صناعة القهوة مثل: الغلايات<sup>(٣٣)</sup>، فضلاً عن الأواني المنزلية المختلفة<sup>(٣٤)</sup>.

إلا أنّ صناعة المواد النحاسية تدهورت أوائل القرن العشرين في ولاية بغداد؛ بسبب منافسة الأواني المعدنية المطلية بالميّنا المستورد من النمسا<sup>(٣٥)</sup>.

#### ٥- صناعة الفخاريات:

انتشرت صناعة الفخار في ولاية بغداد التي عدّت إحدى مراكز هذه الصناعة، وبلغ عدد معامل الفخار ١٣ معملًا<sup>(٣٦)</sup>، وأهم منتوجاتها الجرار<sup>(٣٧)</sup>، والأباريق، والحباب، والقلل<sup>(٣٨)</sup>. وهناك حرفٌ إلى جانب ما ذُكر سابقًا مثل: صناعات المستحدث على المنتجات الزراعية المحلية منها: صناعة الدبس، والمربيات المتركزتان في مدينة بغداد، ففي كربلاء يُصنع الكثير من المربي، والدبس<sup>(٣٩)</sup>.

وصناعة السلاسل المصنوعة من سعف النخيل وانتشرت صناعتها في بغداد، وبعقوبة، وكربلاء وتولت النساء مهام صناعتها في البيوت<sup>(٤٠)</sup>.

#### ثانيًا: بداية الصناعة الحديثة في ولاية بغداد

للصناعة نصيبٌ من اهتمام الوالي مدحت باشا؛ لما للصناعة المحلية من شأنٍ في منافسة البضائع الأجنبية، لذا اهتمّ الوالي مدحت باشا بالصناعة الحديثة وسعى إلى إدخالها في ولاية بغداد ولاسيما الإنتاج الحرفي الذي ساد أغلب أياديه العاملة غير فنية<sup>(٤١)</sup>.

وفي أول خطابٍ للوالي مدحت باشا أكد على أهمية الصناعة الحديثة وضرورة الاهتمام بها<sup>(٤٢)</sup>، ومما استحدثه مدحت باشا فيما يخص الصناعة وعدّ نقلة نوعية، عندما وضع حدًا لنظام السخرة ومنع استغلال العمال الكادحين، وكانت العمالة قليلة العدد في ذلك الوقت ومرتبطةً بالمجتمع الفلاحي<sup>(٤٣)</sup>.

ولاهتمام الوالي مدحت بصناعة المنسوجات أمر باستيراد مكائن للغزل والنسيج الصوفي بقوة سبعين حصانة من أوربا<sup>(٤٤)</sup>، إلا أنّه بسبب اندلاع حرب السبعين عام (١٩ تموز ١٨٧٠-١٠ أيار ١٨٧١م) بين بروسيا وفرنسا لم تصل المكائن إلى بغداد<sup>(٤٥)</sup>.

ومن أعمال مدحت باشا في مجال الصناعة، إنشاء معملٍ لصهر الحديد والنحاس (دوكمة خانة)؛ لإنتاج صفائح معدنية تدخل في صنع بعض الآلات وصناعة السفن<sup>(٤٦)</sup>، وعمل طلبة مدرسة الصنائع بإشراف مهندسٍ أجنبيّ في هذه المعامل والتي كانت صناعتهم لا تقلّ جودتها عن المنتجات الأوربية<sup>(٤٧)</sup>.

ومن الاهتمامات التي أولت بها الحكومة المحلية في ولاية بغداد لتشجيع الصناعة وتطورها، أنّها لم تطلب من أرباب الصناعة تقديم شهادات أو تفرض عليهم شروطًا معينة ولم

تفرض ضرائب مجهدة عليهم، إلا رسوماً زهيدةً فُرضت على منتوجاتهم في حال صُدّرت إلى الخارج<sup>(٤٨)</sup>.

ومثالاً على ذلك: الاهتمام الذي أبداه الوالي قدري باشا والي بغداد حينما دعا متعري سناجق بغداد عام ١٨٧٨م، للبحث في وسائل تطوير الصناعة في السناجق ورفع تقارير إلى الحكومة المحلية في هذا الشأن<sup>(٤٩)</sup>، وما أمر به الوالي الحاج حسن رفيق باشا (١٨٩١-١٨٩٦م) عام ١٨٩١م بإحياء عددٍ من الصناعات في مدرسة الصنائع ببغداد التي زاولتها من قبل وتركبتها فيما بعد مثل: التجارة، والحياكة، وغيرها، ودعا للتبرع بالأموال لهذه المدرسة؛ لسدّ نفقات إعادة تلك الصناعات<sup>(٥٠)</sup>.

وأمر الوالي نامق باشا الصغير (١٨٩٩-١٩٠٢) عام ١٨٩٩م بتأسيس مصنع للغزل في المدرسة، وإصلاح ماكينة بخارية معطلة في مطبعة ولاية بغداد ونقلها إلى المدرسة واستيراد ماكينة أخرى للغزل بحساب المدرسة، وبعد الاتصالات مع أصحاب المصانع الأوربية لتقديم تصاميم تلك الماكينة وصلت التصاميم إلى الولاية ولقيت استحسان الوالي، وكان الغرض من ذلك هو الحدّ من استيراد الغزل من الخارج والاعتماد على الغزل الذي تنتجه المدرسة<sup>(٥١)</sup>.

وللوالي نامق باشا الصغير سياسته في مدرسة الصنائع إذ ضغط أسعار المنتوجات في عام ١٨٩٩م؛ لترويج تصريفها وناشد المواطنين للإقبال على شراء هذه المنتوجات وبالتالي زادت مبيعات المدرسة<sup>(٥٢)</sup>، وفي عام ١٩٠٠م أسس معمل للتجارة في المدرسة وبدأ بإنتاج أنواع الأثاث: الكراسي، والمناضد، والأسرة... الخ<sup>(٥٣)</sup>.

ومما يتوجب ذكره أنّ الإرساليات التبشيرية الفرنسية في ولاية بغداد أنشأت مدرسةً للصنائع عام ١٩٠٣م، عُرفت بمدرسة صنائع اللاتين للبنات<sup>(٥٤)</sup>.

ولم يقتصر الاهتمام بالصناعة على الحكومة المحلية فحسب، بل تعدّاه إلى المواطنين، ففي بغداد عمد بعض المواطنين الى إدخال الآلات الحديثة في الصناعة وإنشاء مصانع، وهذا ما حدث عام ١٩٠٧م إذ قدّم اثنان من كبار تجار ولاية بغداد وطلب إلى الوالي بمنحها إجازة فتح معملٍ للدقيق، والخبز، والمعكرونة، وتمّت الموافقة من مجلس إدارة ولاية بغداد على منح الإجازة<sup>(٥٥)</sup>.

وتكرّرت هذه الطلبات حينما أسّس مجموعة مواطنين في بغداد شركة نسيج صغيرة عام ١٩٠٨م<sup>(٥٦)</sup>، واعتمدت في إنتاجها على الأنوال اليدوية الأوربية المستوردة<sup>(٥٧)</sup>.



وفي العهد العثماني الأخير كان التطور الصناعي ضئيلاً على الرغم من زيادة أعمال بناء السفن، واستعمال مضخات الري، ومكائن الثلج الصناعي، وحدث توفير التسهيلات اللازمة لتصليح الآلات في معامل النسيج الصوفي والمشروبات<sup>(٥٨)</sup>.  
أما حالة العمال فكانت أجورهم قليلةً وظروفهم صعبةً جداً ويظهر كوتلوف فارق الأجور اليومية عند عمال الدولة العثمانية في إستنبول بالمقارنة مع أجور عمال ولاية بغداد، فمثلاً عمال صناعة النسيج في بغداد لا يتعدى (٧) قرشاً أما في الدولة العلية فـ(٨,٤) قرش، وعمال الدباغة في الدولة العثمانية (١٣,٦) قرشاً أما عمال بغداد فأجورهم (١١,٥) قرشاً تقريباً<sup>(٥٩)</sup>، وبلغت أجور عمال معمل الطابوق أواخر ثمانينات القرن التاسع عشر في بغداد ٤,٢ قرشاً للرجال، وللأولاد (٢,٥) قرشاً<sup>(٦٠)</sup>، أما بالنسبة إلى أجور النساء اللاتي كثر عملهن في بعض الصناعات إلى درجة كبيرة ويشكلن القسم الأعظم من عمالة صانع كيس التمر فبلغت أجورهن قرشين ونصف في اليوم<sup>(٦١)</sup>.

ومن أهم الصناعات الرئيسية في القرنين التاسع عشر والعشرين في ولاية بغداد هي:

#### ١- صناعة النسيج

تطورت حرفة صناعة النسيج وتحولت من صناعة يدوية بأدوات بسيطة إلى معامل بماكنات، وأول هذه المعامل معمل لصنع المنسوجات القطنية والصوفية في القرن التاسع عشر<sup>(٦٢)</sup>.

ثم قام الوالي نامق باشا بإنشاء معمل لإنتاج الألبسة العسكرية (العباخانة)<sup>(٦٣)</sup>، اعتمد فيه على إنتاج الصوف المغزول محلياً<sup>(٦٤)</sup>، وفي عهد الوالي مدحت باشا تمّ توسعة المصنع<sup>(٦٥)</sup>، ويعرف أيضاً (بالأعمال العسكرية) ومن إنتاجه الجوخ والخام، الملابس الحريرية، والصوفية، والقطنية، وغيرها من أنواع الأقمشة، واستمر عمل هذا المعمل حتى نهاية العهد الحميدي<sup>(٦٦)</sup>، ومن منتجات ولاية بغداد قماش الكتان الذي أنتجته شركة المنسوجات الوطنية فضلاً عما تنتجه من الجواريب، والفانيات<sup>(٦٧)</sup>، والملبوسات النسائية والرجالية والبسط<sup>(٦٨)</sup>.

#### ٢- صناعة الطابوق والجص والكاشي:

هذه الصناعات تصنّف من الصناعات الإنشائية والتي عُدّت أولى الصناعات الإنتاجية الوطنية في ولاية بغداد لتجهيز مواد البناء الذي بدأ مع إنشاء الدوائر، والمدارس الحكومية، والمؤسسات، والشركات الأجنبية<sup>(٦٩)</sup>.

وانحصرت صناعة الطابوق والجص في مطلع القرن العشرين؛ نتيجةً لارتفاع الإيجار إلى ضعفين وإلى ثلاثة أضعافٍ عما كان عليه في الأعوام الأخيرة من القرن التاسع عشر، وفي

المقابل ترتفع أسعار المواد الإنشائية إلى ٥٠٪ من الأسعار السابقة في عامٍ واحدٍ ١٩١١م وسبب ذلك الارتفاع إلى عاملين الأول ذكرناه في ارتفاع الإيجار وزيادة الطلب على البيوت والعمل الآخر ارتفاع أسعار الوقود المستعملة في مصانع صناعة الطابوق<sup>(٧٠)</sup>.

ويُذكر أنّ عدد مصانع الطابوق وصل إلى ٢٥ مصنعاً في ثمانينات القرن التاسع عشر والذي وُصف إنتاجها بالعجز في سدّ الحاجة إليه<sup>(٧١)</sup>.

وتركّزت صناعة الكاشي في مدن العتبات المقدسة لولاية بغداد وعمالها كان من غير العراقيين (الفرس)<sup>(٧٢)</sup>.

### ٣- صناعة طحن الحبوب:

وهي من الصناعات الحرفية القديمة في بغداد منذ زمنٍ قديمٍ وكان الاعتماد فيها على الآلات البدائية المدارة بواسطة الحيوانات، ونشطت صناعتها في المدن الكبرى (بغداد - والبصرة - والموصل) حتى العهد العثماني الأخير، وبالمقابل لم يكن في بغداد سوى معمل طحينٍ بخاريٍّ أوائل ثمانينات القرن التاسع عشر تابع للجيش العثماني<sup>(٧٣)</sup>، وقُدّر عدد المطاحن القديمة في بغداد ١١٦ مطحنة مطلع القرن العشرين<sup>(٧٤)</sup>.

### ٤- صناعة الثلج:

أنشئ أول معملٍ لصناعة الثلج عام ١٨٨١م في ولاية بغداد ومعملٍ آخر في البصرة (عادت تحت حكم ولاية بغداد في هذه الأعوام ١٨٨٠-١٨٨٤م) وقوالب الثلج صنعت شبيهةً بألواح الزجاج السميكة، وتُباع على أساس الوزن، كيلو منه بقرشٍ واحدٍ<sup>(٧٥)</sup>.

### ٥- صناعة الصابون:

من الصناعات العراقية الجميلة صناعة الصابون ومعمل هذه الصناعة في مدينة بغداد<sup>(٧٦)</sup>.

### ٦- صناعة الزجاج:

تركزت هذه الصناعة في بغداد، وأنشئ فيها معملين الأول لصناعة القناديل والآخر لصناعة الأدوات الزجاجية المختلفة<sup>(٧٧)</sup>.

### ٧- صناعة استخراج النفط:

من الصناعات الحديثة في العراق ولم تكن صناعةً بالمعنى المتعارف عليه في بدايتها، وظهر النفط بشكل ماءٍ سائلٍ فوق سطح الأرض في منطقة مندلي وجرت أولى محاولات تطوير منابع النفط في عهد الوالي مدحت باشا، بمساعدة الخبراء الألمان، وأنشأ مصفى في اليعقوبية لتصفية النفط المستخرج من مندلي<sup>(٧٨)</sup>.

وزارت بعثة مهندسين ألمان عام ١٨٧١م منطقة كركوك وأجرت بحوثها وقدمت تقريرها "إنَّ كركوك وضواحيها منطقة نفطية هائلة وإنَّ حقول النفط هناك قريبة من سطح الأرض مما كان يسبب دومًا هزات أرضية خفيفة وإذا ما تمَّ الحقل لاستخراج النفط في هذه المنطقة هناك احتمالاً قوياً لحدوث زلازل أرضية شديدة"<sup>(٧٩)</sup>.

مستر خمسة بالمئة اللقب الذي أطلق على كالوست سركييس غولبنكيان<sup>(٨٠)</sup> الذي رفع تقرير سدي الى السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) حول حقول النفط التابعة لولاية بغداد والولاييتين الأخرى وسبل استغلالها وتطويرها واستثمارها برؤوس أموالٍ أجنبية وكان له دوره في المباحثات التي تمت بين الشركات الأجنبية والحكومة العثمانية وخصَّص له حصته ومقدارها ٥٪ في عقد شركة نفط العراق<sup>(٨١)</sup>، ولأجله حوّل السلطان عبد الحميد الثاني ملكية أراضي مندلي خاصة<sup>(٨٢)</sup>.

وبعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٩م عادت الأراضي إلى الحكومة العثمانية ليكون استثمار النفط بيد الحكومة العثمانية<sup>(٨٣)</sup>، وتمَّ التعاقد بين الشركة التركية والمصرف الألماني في ٢٥-أيلول-١٩١٢م برأس مالٍ ثمانين ألف باوند وبعدها بعامين عقدت اتفاقية وزارة الخارجية وضاعفت رأس مال الشركة ليصل الى مئة وستين ألف باوند مع اشتراك مصرف ألمانيا بنسبة ٢٥٪، وشركة النفط الإنكليزية الفارسية بنسبة ٤٧,٥٪، وشركة النفط السكسونية ٢٢,٥٪ فضلاً عن كالوست كولينكيان بمنح ٥٪ من رأس المال كما ذكر آنفاً<sup>(٨٤)</sup>.

### الخاتمة

بقيت ولاية بغداد تحت تأثير الإنتاج الحرفي لقرونٍ من الزمن، إذ سيطرت على السوق المحلي التقنيات الحرفية بأدواتٍ بدائيةٍ بسيطةٍ، وكان الإنتاج الحرفي يشمل كلَّ ما يحتاجه أهالي ولاية بغداد من منتجات غزلٍ ونسيجٍ، وفخارياتٍ، وخشبيةٍ... إلخ، وظهرت الأصناف كتنظيمٍ جمعت فيه الحرفيين في ولاية بغداد كلَّ بحسب حرفته، مثل: الصفارين، والساجيين. والفحامين... إلخ، وكلَّ حرفةٍ كانت لعشيرةٍ من عشائر ولاية بغداد انمازت الأصناف الحرفية بشعائرها وطقوسها التي عُدَّت جزءًا لا يتجزأ من حياة الحرفي. وانتقى كلَّ صنفٍ منهم إلى أحد الأشياء ووجدوا أعرافًا وشعائر مستمدةً من الطرق الصوفية، وللأصناف علاقةٌ قويةٌ بالتنظيمات الصوفية؛ لتأثرها بتعاليم الفتوة القديمة وكال المجتمع لأعضاء الصنف نوعًا من الحماية القانونية. وجعل لكلِّ صنفٍ دستورٍ ملترمٍ به، ولم تتولَّ الأصناف أيَّ سلطةٍ سياسيةٍ؛ بسبب سيطرة التجار وحجبها عن الحياة العامة، وبقيت الأصناف مختصرةً في المجال الاجتماعي والاقتصادي، وعكست التنظيمات القبلية والدينية ظلَّها عليها.

## References

- (١) يوسف أيّيش، المؤسسات الاقتصادية في المدينة الإسلامية - اليونسكو، ١٩٨٠م، ص ١٢١-١٢٢.
- (٢) F.Jones, Selecting to Bagdad, London, 1870, P.302.
- (٣) جيمس ريموند ولستيد، رحلة إلى بغداد في عهد الوالي داوود باشا، تعريب: سليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٨٤، ص ٩١.
- (٤) جورج غورفتش، دراسات في الطبقة الاجتماعية، تعريب: أحمد رضا، مراجعة: وعز الدين فودة، مصر، ١٩٧٣م، ص ١١١.
- (٥) فردوس عبد الرحمن كريم اللامي، الحياة الاجتماعية في بغداد، الدار العربية، بيروت، ٢٠١٧، ص ٢٨٦.
- (٦) بغدادي أصيل، من تقاليد أصل بغداد وعاداتهم، جريدة الشرق، ٢ رجب، ١٣٨٢هـ-٢٩ تشرين الثاني، ١٩٦٢م.
- (٧) فردوس عبد الرحمن كريم اللامي، المصدر السابق، ص ٢٨٧-٢٨٨.
- (٨) كلارك كير وآخرون، الصناعة وأثرها في المجتمعات والأفراد، تعريب: برهان دجاني، بيروت، ١٩٦٢م، ص ١١٦.
- (٩) فردوس عبد الرحمن كريم اللامي، المصدر السابق، ص ٢٨٨.
- (١٠) صباح إبراهيم الشخلي، الأصناف في العصر العباسي، بغداد، ١٩٧٦م، ص ٧١.
- (١١) فردوس عبد الرحمن كريم اللامي، المصدر السابق، ص ٢٩٠.
- (١٢) هاشم جواد، مقدمة في كيان العراق الاجتماعي، بغداد، ١٩٤٦م، ص ٦٤-٦٥.
- (١٣) ديولافوا، رحلة مدام ديولافوا إلى كلدّة- العراق سنة ١٨٨١، تعريب: علي البصري، مطبعة أسد، بغداد، ١٩٥٨، ص ١١٧.
- (١٤) كمال مظهر أحمد، الطبقة العاملة العراقية، التكوين وبداية التحرك، دار الخلود للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م، ص ٣٤.
- (١٥) عبد الكريم العلاف، بغداد القديمة، تقديم: إبراهيم الواعظ، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ١٩٩٩، ص ٤٨.
- (١٦) محمد سلمان حسن، التطور الاقتصادي في العراق ١٨٦٤-١٩٥٨، ج ١، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٥، ص ٢٨٢.
- (١٧) محمد سلمان حسن، المصدر السابق، ص ٢٨٣.
- (١٨) ل.ن. كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، تعريب: عبد الواحد كريم، ط ٣، بغداد، ١٩٨٥، ص ٨٠-٨١.
- (١٩) عبد الكريم العلاف، المصدر السابق، ص ٤٩.
- (٢٠) ج.ج. لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، ترجمة: مكتب أمير قطر، الدوحة، د.ت، ج ١، ص ٢٧٩.

- (٢١) جاسم محمد حسن العدول، تاريخ أول مدرسة صناعية في بغداد، ندوة بغداد في التاريخ، بغداد، ١٩٩٠، ص ٣٣٢.
- (٢٢) محمد نصر الله وآخرون، ممالك محروسة شاهانية مخصوص مكمّل ومفصل أطلّس، إستانبول، مطبعة سي، ١٣٢٥هـ، ص ٩٧.
- (٢٣) نابليون المارديني، تنزه العباد في مدينة بغداد، المطبعة اللبنانية، بيروت، ١٨٨٧م، ص ٣٦.
- (٢٤) ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، القسم الجغرافي، ج ٣، ص ١٢٢١.
- (٢٥) عبد الكريم العلاف، المصدر السابق، ص ٥٠.
- (٢٦) ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، القسم الجغرافي، ج ١، ص ١٢٢٣.
- (٢٧) جاسم محمد حسن، المصدر السابق، ص ٣٣٦.
- (٢٨) نابليون المارديني، المصدر السابق، ص ٣٧.
- (٢٩) ل.ن. كوتلوف، المصدر السابق، ص ٨١.
- (٣٠) جاسم محمد حسن، المصدر السابق، ص ٣٣٦-٣٣٧.
- (٣١) عبد الكريم العلاف، المصدر السابق، ص ٥٠.
- (٣٢) نابليون المارديني، المصدر السابق، ١٨٨٧م، ص ٣٧.
- (٣٣) جاسم محمد حسن، المصدر السابق، ص ٣٣٨.
- (٣٤) موصل ولايتي سالنامه در عربي ١٣١٠- رومي ١٣٠٨، مطبعه سنده اول نمس ندر، ص ١٣٥.
- (٣٥) ل.ن. كوتلوف، المصدر السابق، ص ٨١.
- (٣٦) ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، القسم الجغرافي، ج ١، ص ٢٧٩.
- (٣٧) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٢٢٤.
- (٣٨) كاتلين لانكي، تصنيع العراق، تعريب: محمد حامد الطائي وخطاب صكار العاني، بغداد، ١٩٦٣، ص ٤٢.
- (٣٩) سالنامه ولاية بغداد، لسنة ١٣٠٠هـ-١٨٨٣م، ص ٤٦٨.
- (٤٠) عبد الكريم العلاف، المصدر السابق، ص ٥١.
- (٤١) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، العهد العثماني الأخير، ج ٧، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٥٦، ص ١٦٣؛ ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، القسم الجغرافي، ج ٦، ص ٢١٤.
- (٤٢) كمال مظهر أحمد، المصدر، ص ٢٦.
- (٤٣) ل.ن. كوتلوف، المصدر السابق، ص ٨٧.
- (٤٤) نمير طه ياسين، بداية التحديث في العراق ١٨٦٩-١٩١٤، رسالة ماجستير (غير منشورة)، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، ١٩٨٤، ص ١٠٦.
- (٤٥) محمد عصفور سلمان، العراق في عهد مدحت باشا ١٨٦٩-١٨٧٢، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص ١٣٧؛ عباس العزاوي، المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٢٣.
- (٤٦) جريدة زوراء، العدد ٨٥، ١٦ رجب ١٢٨٧هـ، تشرين الأول ١٨٧٠م.

- (٤٧) محمد عصفور سلمان، المصدر السابق، ص ١٣٨.
- (٤٨) ديولافوا، المصدر السابق، ص ١١٨.
- (٤٩) جريدة زوراء، العدد ٧٥٦، ٢٤ ربيع الآخر، ١٣١٠هـ-١٨٩١م.
- (٥٠) المصدر نفسه، العدد ١٤٩٥، ٨ رجب، ١٣١٠هـ-١٨٩١م.
- (٥١) المصدر نفسه، العدد ١٨٢٣، ١١ ربيع الأول، ١٣١٧هـ-١٨٩٩م.
- (٥٢) جريدة زوراء، العدد ١٨٥٢، ١٣ شوال، ١٣١٧هـ-١٨٩٩م.
- (٥٣) المصدر نفسه، العدد ١٨٧٥، ١٤ ربيع الآخر، ١٣١٨هـ-١٩٠٠م.
- (٥٤) جميل موسى النجار، التعليم في العراق في العهد العثماني الأخير، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٢، ص ٢٧٥.
- (٥٥) جاسم محمد حسن، المصدر السابق، ص ٣٢٣-٣٢٤.
- (٥٦) المصدر نفسه، ص ٣٢٤.
- (٥٧) كاتلين لانكي، المصدر السابق، ص ٤٥.
- (٥٨) جاسم محمد حسن، المصدر السابق، ص ٣٢٦-٣٢٧.
- (٥٩) ل.ن.كوتلوف، المصدر السابق، ص ٨٧-٨٨.
- (٦٠) محمد سلمان حسن، المصدر السابق، ص ٣٠٣.
- (٦١) جاسم محمد حسن، المصدر السابق، ص ٣٢٨.
- (٦٢) عثمان بن سند البصري الوائلي، مختصر مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داوود، القاهرة، ١٣٧١هـ، ص ١-٢؛ عبد العزيز سلمان نوار، داوود باشا والي بغداد، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٢٨٧-٢٨٨.
- (٦٣) محمد سلمان حسن، المصدر السابق، ص ٩٠٢.
- (٦٤) نوري خليل البرازي، الصناعة ومشاريع التصنيع في العراق، د.م، ١٩٧٧م، ص ٢٨؛ سعيد عبود السامرائي، المصدر السابق، ص ٢٩.
- (٦٥) فردوس عبد الرحمن كريم اللامي، المصدر السابق، ص ٣٠٦.
- (٦٦) جاسم محمد حسن، المصدر السابق، ص ٣٣٢.
- (٦٧) مجلة الرقيب، السنة الأولى، العدد ٥، ٤ صفر ١٣٢٧.
- (٦٨) نابليون المارديني، المصدر السابق، ص ٣٦.
- (٦٩) محمد سلمان حسن، المصدر السابق، ص ٣٠٣.
- (٧٠) المصدر نفسه، ص ٣٠٣.
- (٧١) جاسم محمد حسن، المصدر السابق، ص ٣٣٧.
- (٧٢) ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، القسم الجغرافي، ج ٣، ص ١٢٢٣.
- (٧٣) جاسم محمد حسن، المصدر السابق، ص ٣٤٢-٣٤٣.
- (٧٤) ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، القسم الجغرافي، ج ١، ص ٢٧٩.
- (٧٥) عبد الكريم العلاف، المصدر السابق، ص ٧٧.

- (٧٦) ج. ج. لوريمر، المصدر السابق، القسم الجغرافي، ج ١، ص ٢٧٩.
- (٧٧) جاسم محمد حسن، المصدر السابق، ص ٣٤٤.
- (٧٨) مدحت باشا، مذكرات مدحت باشا، تعريب: يوسف كمال حتاتة، مطبعة هندية، القاهرة، د.ت، ص ١٦٨.
- (٧٩) عبد الرزاق محمد اسود، موسوعة العراق السياسية، مج ٧، بغداد، ١٩٨٦م، ص ٢١.
- (٨٠) **كالوست سركيس كولينكيان**: من الرعايا العثمانيين من أصل أرمني منتم إلى عائلة تجارية مهتمة بشؤون النفط (استخراج وبيع)، أكمل دراسته في إستانبول، وفرنسا، وإنجلترا، أثبت كفاءة عالية في شؤون النفط. عبد الحميد العلوجي وخضير عباس اللامي، الأصول التاريخية لنفط العراق، ج ١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٣م، ص ٨٣؛ طالب محمد وهميم، التنافس البريطاني-الأمريكي على نفط الخليج العربي وموقف العرب في الخليج منه ١٩٢٨-١٩٣٩م، دار بغداد، ١٩٨٢م، ص ٥٣؛ كالوست غولينكيان (مستر ٥٪) مجلة البترول والغاز العربي، العدد ٣، تشرين الثاني ١٩٦٥م، ص ٥٥-٥٧.
- (٨١) عبد الرزاق محمد اسود، موسوعة العراق السياسية، مج ٧، ص ٢١.
- (٨٢) يوسف إبراهيم يزبك، النفط مستعبد الشعوب، بيروت، ١٩٣٤م، ص ٧٨، نوري عبد الحميد خليل، التاريخ السياسي لامتيازات النفط في العراق ١٩٢٥-١٩٥٢م، مركز الأبجدية للصف التصويري، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٢١.
- (٨٣) عبد الرزاق محمد اسود، موسوعة العراق السياسية، مج ٧، ص ٢٣.
- (84) Hurewits, J-C. (Ed) Diplomacy in The Near and Middle East: A Documentary 1585-1914 record, Vol. II Prnction, N.J: D.Van Nostard co. 1956, P.P. 276-279.